٦

الوحدة السادسة

دور المرأة في التنمية الروحية، والشخصية

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على:

١ – الإلمام بدور المرأة في التنمية الروحية.

٢ – بيان دور المرأة في التنمية الشخصية.

٣ – استشعار أهمية العناية بالمجال الروحي والشخصي لما لهما من أثر في تعزيز التنمية في المجالات الأخرى.

دور المرأة في التنمية الروحية

۞ أولاً: مفهوم التنمية الروحية وأهميتها.

التنمية الروحية: تعني تزكية النفس الإنسانية، وترقيتها في مدارج الإيمان، حتى تصل إلى مرتبة الإحسان التي عرَّفها رسول الله ﷺ بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]، وهي أعلى مراتب الإيمان، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٩)، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾، أي: ينمي أخلاقهم ويطهرها من الرذائل[2].

والتنمية الروحية – بهذا المعنى – تمثل أهم جوانب التنمية في الإسلام؛ لأن الروح التي يقصد تنميتها هي روح الإنسان المستخلَف، التي متى نمت ووصلت إلى هذه المرتبة من الحسن، صدرت عنها أفعالها موافقة لمراد الله تعالى وشرعه، خالصة من الشوائب التي يمكن أن تخالطها. والأفعال الخالصة المنضبطة بشرع الله تعالى هي مصدر كل تنمية مادية أو شخصية أو مجتمعية، ومن ثم كانت مجالات التنمية الأخرى مربوطة بالتنمية الروحية.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإسلام والإيمان والإحسان، رقم الحديث: (٨، ٩، ١٠).

(٢) تفسير الفاتحة، والبقرة (٦٦/٢).

❁ ثانياً: دور المرأة في التنمية الروحية.

قدّمت المرأة في تاريخها نماذج مشرفة لدورها في مجال التنمية الروحية على المستويين: الشخصي، والاجتماعي، وقدمت القدوة في ذلك، وسوف نورد نماذج من هذه الأدوار؛ لتتأسى بها طالبتنا، ولتبني عليها دورها وفق ما يتلاءم مع متغيرات الزمان والمكان.

١ – **تقديم القدوة الصالحة:** كانت المرأة في عصر سلفنا الصالح قدوة لمن عاصرها، ولمن سيأتي بعدها.

فمن ذلك ما قامت به أم سليم رضي الله عنها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: اشتكى ابن لأبي طلحة، قال: فمات، وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ، ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: (لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما) قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن[1].

وسير أمهات المؤمنين والصحابيات والتابعيات، ومن سار على هداهن إلى الوقت الحاضر حافلة بأعمال الخير والإصلاح والحرص على بذل المعروف.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: من لم يظهر حزنه عند المصيبة، رقم الحديث: (١٣٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي طلحة الأنصاري، رقم الحديث: (٢١٤٤).

٢ – **عمل الوقف الخيري:** للوقف عبر التاريخ الإسلامي أثر عظيم في الإنفاق على كثير من احتياجات الحياة البشرية من مساجد وتعليم ومكتبات ومستشفيات وضمانات للمعوزين وغير ذلك، ومن النماذج التي قامت بها المرأة في هذا المجال؛ ما قامت به امرأة اسمها «صولت النساء» حيث قدمت هذه المرأة للحج من بنغلادش مع بنتها وزوجها سنة ١٢٩٠هـ، ورأت الحاجة عند أهالي مكة في ذلك الزمن، ففكرت في بناء رباط للحجاج كما فعل كثير من أهل الخير، فذكرت نيتها لأحد العلماء، فأشار عليها ببناء مدرسة في مكة المكرمة للحاجة إليها، فوافقت على هذا الرأي، واشْتُريت الأرض وبنيت عليها المدرسة في سنة ١٢٩١هـ، والمدرسة قائمة حتى الآن، وهي خمسة مباني، والطلاب يدرسون فيها، ويتقاضون مكافآت تشجيعية، والمنهج الدراسي يستغرق اثنتي عشرة سنة، وفي المدرسة مسجد بُنِيَ سنة ١٤٠٢هـ، ومكتبة كبيرة يستفيد منها الطلاب وعامة الباحثين.

هذه المدرسة هي التي تسمى «الصولتية» بمكة، وقد استفادت منها الدولة السعودية عند نشأتها، فعين الملك عبدالعزيز خريجيها قضاة ومدرسين، وأرسل كثيراً منهم إلى المناطق المحتاجة في المملكة للتدريس في المدارس التي أنشئت في تلك الفترة[1].

فإنشاء هذه المدرسة يصور رغبة هذه المرأة المسلمة في إفادة الناس بثروتها، ويبرز تأثير نظام الوقف في الإسلام.

***

(١) ينظر: جريدة الرياض ١٤٢٩/٣/٢هـ.

دور المرأة في التنمية الشخصية

۞ أولاً: مفهوم التنمية الشخصية.

تعد التنمية الشخصية من أهم العوامل المعينة على تحقيق التنمية؛ إذ لا يتصور الارتقاء في الجوانب المادية للحياة البشرية، ما لم يكن الارتقاء في الإنسان نفسه. والتنمية الشخصية تتضمن تحقيق التنمية لدى الإنسان من مجالات مختلفة ترجع إلى مجالين رئيسين هما:

❖ **المجال الأول: المجال الفطري الطبيعي، ويتضمن ما يأتي:**

١ – فهم الإنسان لذاته، ومعرفة خصائصه الطبيعية التي فطره الله تعالى عليها. وقد اعتنى القرآن الكريم ببيان طبيعة النفس البشرية، وخصائصها المميزة لها بصور مختلفة، وأساليب متنوعة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

٢ – تنمية مواهب الفرد واستثمارها الاستثمار الصحيح، ومعالجة جوانب القصور في الشخصية، وتعديل مسارها حتى يتمكن الإنسان من حسن أداء عمله.

وهذا الجانب تكون تنميته باكتساب المعارف اليقينية، والاتجاهات الصحيحة، والالتزام بمنهج التفكير السليم، والمقصد الحسن، والبعد عن مسببات الحيرة والشك والتردد، ولذا جاء التوجيه الرباني بالأمر بالاستمساك بالوحي، فهو الطريق الصحيح لتنمية الذات الإنسانية واستقامتها وحمايتها من الانحراف، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٤٣).

❖ **المجال الثاني: المجال المهني الوظيفي، ويتمثل فيما يأتي:**

١ – تنمية المهارات الاجتماعية التي تمكن الفرد من حسن التواصل مع مجتمعه والاندماج فيه والانخراط في أدواره المختلفة في تنميته.

٢ – تنمية المهارات المهنية المختلفة، التي تعين الفرد على أداء أعماله الوظيفية والحرفية بمهنية عالية.

ومن التكامل بين التنمية الروحية والتنمية الشخصية، يؤدي الإنسان دوره في التنمية على أعلى مستوى في الإنجاز والعطاء، وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، قال الشيخ السعدي: «أي إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها»[1]، فمحددات إنتاجية الإنسان على ضوء الآية الكريمة تتمثل في عنصرين: أحدهما القوى التي تترجم في الخبرة والمهارات الفكرية والمهنية والفنية، والآخر: الأمانة التي تتمثل في التنمية الروحية والخلقية.

❁ ثانيًا: أهمية التنمية الشخصية.

التنمية البشرية بجوانبها المختلفة تحقق كثيرا من الفوائد العظيمة، فهي تسهم في إكساب الإنسان المهارات والخبرات اللازمة لتثبيته على قيم الحق والخير، بالإضافة إلى

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢٨٨).

إكسابه القدرة على العمل بها. فالطبيعة الإنسانية مفطورة على الخير والحق والجمال، وهي مؤهلة إلى أن ترتقي أعلى سلم حضاري يمكن أن تصل إليه، ولكنها طبيعة ضعيفة لا تملك دفع الوسواس؛ لذا يسهل السيطرة عليها، ودفعها للوقوع في الباطل والشر وقبيح الأفعال والتردي في سفاسف الأمور. فعن أَنَس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ)[1]. قال النووي في شرح قوله ﷺ: (أنه خلق خلقا لا يتمالك): «وقيل: لا يملك نفسه، ويحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب»[2].

ومن ثم فإن الإنسان دائما يعيش معاناة ومكابدة وتحديات وإغراءات تؤثر في سلوكه وقراراته، فتجعله في تناقض وتذبذب؛ فكان لابد من خضوعه لتربية فاعلة تستند إلى خبرة عالمة بتكوينه وطبيعته؛ ليتوفر له التوازن في حياته، ويبرز سلوكه متناسق الأداء، سليم التوجه، إيجابي النفع والأثر.

ويضاف إلى ما سبق من فوائد التنمية الشخصية أنها من الضرورات الماسة للإنسان؛ لأن غيابها يسبب اضطراب الطبيعة الإنسانية، ويصيب العقل والإرادة بالمرض أو الموت، وينتج عن ذلك مضاعفة الشر والباطل والضرر والظلم في حياة الأفراد والجماعات، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦ – ٧)، ولذا كان لابد من خضوع الشخصية الإنسانية للتنمية، بالتدريب والتعليم، وإكساب

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب: خلق الإنسان خلقا لا يتمالك، رقم الحديث: (٢١١١).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٦٤).

المهارات للتعامل مع الذات، وتعويدها على الصفات الحسنة، ومقاومة الصفات السلبية أو الحد منها، حتى تتكامل التنمية في جانبيها: المادي، والمعنوي.

❁ ثالثًا: دور المرأة في التنمية الشخصية في العصر الحديث.

للمرأة دور عظيم في دفع مسيرة التنمية الشخصية، في داخل المجتمعات ويظهر ذلك مما يأتي:

١ – دورها داخل المدارس والمعاهد والجامعات من بقيامها بعملية التعليم والتعلم، ودعم الأنشطة الطلابية التي ترمي إلى تنمية مهارات الطالبات وصقل شخصياتهن، فهي تشارك فيها، وتنظمها وتخطط لها.

٢ – دورها في دعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية النسائية ومراكز تعليم القرآن الكريم وحفظ السنة المطهرة، من بتقديم برامج ثقافية وعلمية متنوعة، ودورات، ومحاضرات، بهدف تنمية الشخصية، وصقلها بالمعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة.

٣ – دورها في المراكز الاستشارية والبحثية، التي تعنى بتنمية مهارات المرأة، وتقديم البرامج والاستشارات التي من شأنها النهوض بواقع المرأة، ومضاعفة دورها التنموي.

٤ – دورها في تنمية مهارتها المهنية، والتزامها بأخلاق مهنتها التي تقوم بها سواء على مستوى الوظيفة، أو الوظيفة داخل أسرتها، أو وظيفتها في العمل التطوعي.

***